ISSN 2218 – 6506

المجلد (5) العدد (2) يونيو 2011

مجلة الدراسات التربوية والنفسية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

في هذا العدد

- الجوانب التربوية في قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح.
- أثر برنامج التدريب النفسي المدعم بوسائل تكنولوجية على بعض المهارات النفسية ومستوى الأداء لدى لاعبي تنس الطاولة.
- فعالية برنامج إعداد المعلم بكلية التربية في امتلاك الطلبة المعلمين للكفايات المهنية وعلاقتها باتجاهاتهم نحو العمل في مهنة التدريس.
- تصميم برمجية تعليمية حاسوبية ودمجها ببيئة (Moodle) الإلكترونية وقياس أثرها على تحصيل عينة من طلبة قسم تكنولوجيا التعليم بجامعة البحرين.
- معايير الاعتماد الأكاديمي وضمان الجودة في كليات التربية في الجامعات الأردنية.
- مدى استخدام معلمي التربية الإسلامية في سلطنة عمان لإستراتيجية طرح الأسئلة الصفية.

الجوانب التربوية في قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح

سعيد بن راشد الصوافي

alsuwafi@squ.edu.om

جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

استلم بتاريخ: ٢٠١٠\٩\٢٨ عدل بتاريخ: ٢٠١١\٥\٨ قبل بتاريخ: ٢٠١١\٥\١٣

هذه الدراسة تتجه إلى استقراء نصوص قصة موسى عليه االسلام مع الرجل الصالح، المتعلقة بالجوانب التربوية، ودراستها، واستنطاق المعاني ذات الدلالة التربوية، على أمل أن تسهم ولو بالقليل في الدراسات التربوية المستقاة من كتاب الله الكريم، لذا جاءت تسميتها بـ (الجوانب التربوية في قصة موسى عليه االسلام مع الرجل الصالح)

القرآن الكريم دستور حياة، ومنهج تربية، فهو مصدر الأهداف والغايات، والقيم والسلوك، يعتني بالإنسان عناية فائقة، في توجيهه نحو الحياة الفاضلة، وقد نهج القرآن الكريم في سبيل تربية الإنسان أساليب متعددة، وطرقاً مختلفة، ومن ذلك أسلوب القصة، والقصة عندما يحكيها القرآن الكريم لا يريد من وراء ذلك حكايتها أو التلذذ بأحداثها؛ وإنما المقصد والمغزى والهدف أن نستفيد منها ما ينفعنا في واقعنا.

وقصة سيدنا موسى عليه السلام مع الرجل الصالح من قصص القرآن الكريم الرائعة، فهي قصة رحلة حقيقية في طلب العلم، لها أهدافها وغاياتها، تضمنت قيماً وسلوكيات وأساليب تربوية قيمة، حري بالمسلم وخصوصاً طالب العلم أن يستفيد منها في حياته.

وينبغي للمخططين التربويين الذين يرسمون المناهج الدراسية لطلاب العلم أن يستفيدوا من الرصيد التربوي الذي يحويه هذا الدستور الإلهي العظيم، الذي جاء بمناهج محكمة، لتربية الإنسان تربية سوية. والحقيقة أن مناهجنا التعليمية بحاجة إلى الربط بينها وبين المنهج والمنبع الأصلي لحياتنا، فمنه ينبغي أن نستقي علومنا وأهدافنا قبل البحث عنها من مصادر أخرى

The Educational Aspects of the Story of the Prophet Muses & the Wiseman

Said Rashed Al swafi

Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman

This research studies the story (the prophet Muses with the Wiseman) trying to get as much as it can information relating to educational and ethical aspects. That why it is titled (the Educational Aspects of the Story of the Prophet Muses & the Wiseman).

The Holy Quran is way of life, a methodology of education and a source of goals and objectives. It takes great care of human beings to led him to the pest life. To achieve this goal, the Qur'an follows multiple methods and different ways. Among those unique methods is telling stories.

However, when the Quran tells story, it doesn't want it to be like a night-story. The Quran, in fact, targets to benefit people throughout the story.

A very good example for that is the story (the prophet Muses with the Wiseman). That story is like a real journey for seeking knowledge witch contents many valuable benefits of educational and ethical methods.

مقدمة:

" النظام التعليمي في أي مجتمع جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع ومن ثقافته وحضارته، وأداة فعالة لتنميته، وتنمية أفراده " [1].

وينبغي للمخططين التربويين، الذين يرسمون المناهج الدراسية لطلاب العلم، بناء فلسفة تربوية شاملة وصالحة، لنظام تعليمي شامل متكامل، في مجتمع إسلامي صالح، ينشد التقدم في إطار تعاليم دينه، ولا بد لهم من الرجوع في المقام الأول إلى مصادر دينهم، التي يأتي في مقدمتها القرآن الكريم. لذا عليهم أن يستفيدوا من الرصيد التربوي الذي يحويه هذا الدستور الإلهي العظيم، الذي جاء بمناهج محكمة، لتربية الإنسان تربية سوية. والحقيقة أن مناهجنا التعليمية بحاجة إلى الربط بينها وبين المنهج والمنبع الأصلي لحياتنا، فمنه ينبغي أن نستقي علومنا وأهدافنا قبل البحث عنها من مصادر أخرى.

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول لتعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه وتوجيهاته، وهو صالح لكل زمان ومكان، ولم يترك شيئا من الأصول والأسس والمبادئ التي تنفع الناس في أمور حياتهم وآخرتهم إلا تضمنه، وأشار إليه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وإذا كان القرآن الكريم نفسه ليس فلسفة ولا نظرية، فإنه المصدر الصالح الذي يمكن أن يشتق منه المسلمون مبادئ فلسفات ونظريات حياتهم، بما في ذلك فلسفتهم التربوية ونظامهم التعليمي [2].

والقرآن الكريم دستور حياة، ومنهج تربية، فهو مصدر الأهداف والغايات والقيم والسلوك، يعتني بالإنسان عناية فائقة، يلهمه طرق الرشاد، ويوجهه نحو الحياة الفاضلة، وقد نهج القرآن الكريم في سبيل تربية الإنسان أساليب متعددة وطرقا مختلفة، ومن ذلك أسلوب القصة. والقصة في القرآن الكريم لها أهدافها وغاياتها ؛ فهي ليست للتسلية والمتعة، كما هو الحال في القصص المألوفة، وإنما هدفها توجيه الإنسان، والارتقاء بسلوكياته نحو الأفضل في حياته.

وقصة سيدنا موسى عليه السلام مع الرجل الصالح من قصص القرآن الكريم الرائعة، فهي قصة رحلة حقيقية في طلب العلم، لها أهدافها وغاياتها، تضمنت قيما وسلوكيات وأساليب تربوية قيمة، حري بالمسلم وخصوصا طالب العلم أن يستفيد منها في حياته.

لقد لفت انتباهي وأنا أتأمل آيات هذه القصة ما فيها من جوانب تربوية رائعة متعددة، فأحببت إبرازها للاستفادة منها. والواقع أن هذه القصة تناولها الذين كتبوا في القصص القرآني والمفسرون لكتاب الله العزيز، وذكروا جوانب مهمة وفوائد جليلة، استفدت منها وأضفت إليها ليخرج الموضوع في ثوب جديد، وقالب سديد.

هذه الدراسة تتجه إلى استقراء نصوص قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح، المتعلقة بالجوانب التربوية، ودراستها، واستنطاق المعاني ذات الدلالة التربوية [3]، على أمل أن تسهم ولو بالقليل في الدراسات التربوية المستقاة من كتاب الله الكريم.

وتهدف هذه الدراسة إلى:

١. إظهار بعض الأوجه التربوية في القرآن الكريم وكيفية الاستفادة منها.

٢. بيان أن محتوى القرآن الكريم ومضامينه يمكن الاستفادة منها في جميع الأحوال والأزمان.

---

[1] .الشيباني، عمر التومي، الفكر التربوي بين النظرية والتطبيق، المنشأة العامة للنشر. طرابلس، ط ١، ١٩٨٥، ص ٩٦.

[2] .يُنظر : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

[3] .تجنبت الدخول في الخلافات بين العلماء في الجوانب التاريخية وغيرها في هذه القصة ، مثل : مكان حدوثها ، وشخصية الرجل الصالح ؛ خوف الإطالة من ناحية ، ومن جهة أخرى فإن تلك الخلافات لا تعتمد على أدلة نصية ، وليس لها علاقة بهدف الدراسة

٣. الكشف عن الأساليب المتنوعة للقرآن الكريم في التوجيه والتربية.

ويرجى من هذه الدراسة أن تجيب عن التساؤلات التالية:

- كيف يمكننا الاستفادة من الرصيد التربوي للقرآن الكريم ؟
- ما أهداف القصص القرآني عموما وقصة موسى مع الرجل الصالح خصوصا ؟
- هل في القصص القرآني جوانب تربوية يمكن الاستفادة منها في واقعنا التعليمي التربوي ؟
- ما هي الأسس التربوية في قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح ؟

المبحث الأول:أهداف القصة

كل شيء في هذه الحياة له هدف وغاية، وبدون الهدف والغاية تكون الحياة لعبا وعبثا، فها هو خالق الكون والحياة يحدد الهدف من خلق الإنسان ووجوده، يقول الله تعالى:**{ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين. ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون }** (الدخان:٣٨. ٣٩)، ويقول:**{ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون }** (المؤمنون:١١٥)، ويبين سبحانه الغاية من خلق الإنسان في قوله:**(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }** (الذاريات:٥٦). والهدف معناه:" وجود عمل منظم مرتب، عمل يقوم النظام فيه على الإنجاز التدريجي لعملية من العمليات " [٤]

إن هذا الهدف العام لخلق الكون، ووجود الحياة، انعكس على حياة الناس في جميع جوانبها، فصار لكل جانب من جوانب الحياة البشرية أهدافا، وقد حدد لها الإنسان طرقا وأساليب ووسائل تعين على تحقيقها، ومن تلك الأهداف ؛ الأهداف التربوية والتعليمية.

لقد قدم القرآن الكريم للبشرية أساليب عدة للتوجيه والتربية، ومن تلك الأساليب القصة ؛ لما لها من أثر في توجيه النفس، وتأثير في السلوك، يقول سيد قطب:" و القصة أسلوب تربوي فعال في بناء القيم والاتجاهات، وفي اكتساب الخبرة والمعرفة، ولقد احتلت القصة في القرآن الكريم حيز ا واسعا ؛ وذلك لتعدد أهدافها، فالقصة في القرآن الكريم ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وا إدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني، إنما في القرآن الكريم وسيلة من وسائله الكثيرة لتحقيق هدفه الأصيل:وهو أن القرآن الكريم دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه وتثبيتها " [٥].

والقصة القرآنية تختلف عن القصص الأخرى ذات المصدر الإنساني، كالقصص التاريخية، فالقصص القرآني كما أخبر عنه الحق تبارك وتعالد حق كله **{ نحن نقص عليك نبأهم بالحق }** (الكهف:١٣)، وفي آية أخرى:**{ نحن نقص عليك أحسن القصص }** (يوسف:٣)، فهو حق وصدق كله ؛ لأنه تضمنه كتاب **{ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد }** (فصلت:٤٣)، فهو **{ تنزيل رب العالمين}** (الواقعة:٨٠).

والقصة القرآنية. كما أخبرنا القرآن الكريم لها أهدافها، وفي كل جزئية من جزئياتها أمر يريد الله سبحانه وتعالى من الإنسان أن يدركه إدراكا واعيا، ويتخذ من ذلك منهجا لحياته [٦]. فالقصص القرآني كله دروس وعبر

---

[٤] . جون ديري ، الديمقراطية والتربية ، ترجمة : متى عقراوي وزكريا ميخائيل ، لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، ١٩٥٤ م ، ص ١٠٥ ، نقلاً عن: نمر : محمود وآخرون ، دراسات في أصول التربية ، دار الثقافة . الدوحة ، ط ٤ ، ١٩٩٥ م ، ص ٨٠ .

[٥] . قطب ، سيد ، التصوير الفني في القرآن ، دار المعارف . القاهرة ، ط ٩ ، ص ١٩٩ .

[٦] . يُنظر تفصيل أهداف القصة القرآنية في : الخالدي ، صلاح ، مع قصص السابقين ، دار القلم . دمشق ، ط ٢ ، ١٩٩٦ م ، ص ٢٤ . ٢٩ .

ومناهج تحتذى " فالقصة القرآنية لم تقصد لذاتها بل للعبرة " [٧].

والقصة في القرآن الكريم تعمل على بناء الجانب الروحي للفرد وتنميته، الأمر الذي يضمن للفرد الهدوء والاتزان في الأفعال والأقوال والسلوك، ولقد دلت التجربة على أن أشد المواعظ الدينية نفاذا إلى القلوب ما عرض في أسلوب قصصي يحمل على المشاركة الوجدانية للأشخاص والتأثر بالأحداث والانفعال بالمواقف [٨]، ومما تقدم يمكن أن نخلص إلى تعريف القصة في القرآن الكريم، فهي:الأنباء أو الأخبار عن الأحداث ماضية، يراد منها تذكير الناس ووعظهم وا رشادهم وتقويم سلوكهم، عرضها القرآن الكريم في أسلوب قصصي بديع محكم.

والقصة التي بين أيدينا حافلة بالأهداف التربوية، فهي في حد ذاتها رحلة تعليمية تربوية هادفة، وقد تفطن لنفائسها العلماء قديما وحديثا ؛ فالنووي (ت٦٧٦ هـ) يقول عنها:" في هذه القصة أنواع من القواعد والأصول والفروع والآداب والنفائس المهمة " [٩].

وهذه القصة الرائعة لم تتكرر في القرآن الكريم كغيرها من القصص وا نما ذكرت مرة واحدة في سورة الكهف، والقرآن الكريم في هذه القصة لا يحدد المكان الذي وقعت فيه إلا بأنه مجمع البحرين [١٠]، ولا يحدد التاريخ أيضا، كذلك لم يدل القرآن الكريم بأي تفاصيل عن العبد الصالح [١١] ؛ لأن الهدف الأسمى من ذكر القصة ليس معرفة تاريخها أو أشخاصها أو مكانها وا نما الأخذ من أحداثها بما ينفع الإنسان في حياته من مبادئ ومثل وغايات.

ولنقف أولا مع سبب الرحلة العلمية التي حكتها القصة ليظهر الهدف من ورائها:

روي أن موسى عليه السلام قام خطيبا في بني إسرائيل فلما انتهى من خطبته سأله رجل:هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال:لا. فأوحى الله إليه إن لي عبدا بمجمع البحرين على الساحل عند صخرة هناك هو أعلم منك. قال موسى لربه:فكيف لي به ؟ قال:تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل[١٢]، فحيثما فقدت الحوت تجده هناك، فأخذ موسى حوتا في مكتل، واصطحب فتاه يوشع بن نون، وقال له:إذا فقدت الحوت فأخبرني. ثم انطلق، وانطلق معه فتاه، حتى وصلا إلى الصخرة وغشاهما النعاس فناما، ومس الحوت بعض الماء فاضطرب في المكتل، وأخذ سبيله في البحر سربا، فرآه يوشع وهو بين النوم واليقظة، فلما استيقظ موسى نسي أن يسأل يوشع عن أمر الحوت، ونسي يوشع أن يخبره بما حدث، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان الغداة وقد أجهدهما السير قال موسى لفتاه:آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا تعبا لم نعهده من قبل، ولما هم يوشع بإعداد الطعام تذكر الحوت الذي تسرب إلى البحر، فقال لموسى:أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنساني ذكره إلا الشيطان، وقد اتخذ سبيله في البحر بحالة تدعو إلى العجب، فقال موسى:إن فقدان الحوت هو ما كنا نبتغيه ؛ لأنه إمارة على الفوز بما نطلبه،

---

[٧] . قطب ، محمد ، نظرات في القصص القرآني ، ١٩٨٦ م ، ص ٦٠ .

[٨] . يُنظر : نقرة ، التهامي نقرة ، سيكولوجية القصة في القرآن ، الشركة التونسية للتوزيع . تونس ، ص ٥٤٢ . ٥٤٩ .

[٩] . النووي، محي الدين، صحيح مسلم بشرح النووي، دار المعرفة . بيروت، ط ٥، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ج ١٥ ، ص ١٤٢.

[١٠] . اختلف العلماء في المراد بمجمع البحرين، والأشهر أنه مجمع فارس والروم .

[١١] . اختلف العلماء في العبد الصالح الذي ورد في السنة أنه الخضر هل هو نبي أم لا .

[١٢] . المكتل :الزبيل الذي يُحمل فيه التمر أو العنب يُنظر : ابن منظور، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط ٢، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، مادة (كتل) ج ١٢، ص ٣٠ .

فرجعا في الطريق التي جاءا منها، حتى أتيا الصخرة فوجدا العبد الصالح [١٣].

يقول الله تعالى حاكيا ذلك:**{وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا. فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا. فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا. قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا. فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما. قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علت رشدا. قال إنك لن تستطيع معي صبرا. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا. قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا. فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاإمرا. قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا. قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئاتكرا. قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا. قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت منلدني عذرا. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا. قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا. أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا. وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانوكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا}** الكهف:٦٠. ٨٢.

والذي يفهم من سياق القصة أنه كانلموسى عليه السلام هدف من رحلته هذه، وأنه كان يقصد من ورائها أمرا، ومن ذلك نرى أن موسى عليه السلام قد وضع الهدف في ذهنه، وصمم على بلوغ غايته مهما كلفه الأمر، فقال لفتاه: أزال سائرا في الأرض باحثا عن ملتقى البحرين، ولو أمضيت في سيري الأزمنة الطويلة. فوجهة موسى عليه السلام المسير إلى مجمع البحرين، والغاية هي لقيا الرجل الصالح الذي أخبره الله عنه، والهدف هو طلب العلم.

لكن موسى عليه السلام لا يعلم المكان المحدد وهو مجمع البحرين، وكذلك لا يعلم مقدار المسافة ؛ فهل يسير إلى جهة مجهولة ؟ كلا إنه يأخذ بالأسباب فيحمل معه الدليل الذي يرشده إلى المكان ؛ وهو الحوت، فحيث يختفي الحوت فهو المكان الذي يوجد فيه الرجل الصالح، كما أنه يعلم أنها مسافة طويلة ؛ لذا أخبر فتاه وأفصح له عما هو مصمم لأجله ؛ حتى يكون الفتى على بصيرة من أمره، فيكون متهيئا لما يتضمنه السفر من مشاق ومتاعب، خاصة وأنه سفر طويل.

وهكذا يعلمنا موسى عليه السلام التصميم وقوة الإرادة والعزيمة، ووضع كل الإمكانات المتاحة، وتهيئة الظروف ؛ في سبيل تحقيق الهدف الذي يسعى إليه الإنسان، خاصة في طلب العلم.

وقبل أن نغادر هذه الجزئية، لا بد أن نشير إلى نقطة غاية في الأهمية، وهي أن ظاهر هذه القصة فيه مأخذ على موسى عليه السلام ؛ فحين سئل عن أعلم الناس ؟ قال:أنا ؛ فهل جوابه هذا من قبيل الاعتداد بالنفس ؟ وهل فيه نوع من التكبر ؟

---

[١٣]. الشعراوي ، محمد متولي ، قصص الأنبياء ، مكتبة التراث . القاهرة ، ج ٤ ، ص ٢١٢٦ .

والجواب عن ذلك:لا، وحاشا نبيا من أنبياء الله الذين اصطفاهم الله لحمل الرسالة أن يكون لديه تفكير كهذا ؛ بل إن موسى عليه السلام قال ذلك حسب علمه باعتباره نبيا اختصه الله من العلم ما لم يختص به أحدا من البشر، وفوق هذا وذاك أراد الله سبحانه أن يري نبيه موسى عليه السلام أن علمه سبحانه لا يحيط به بشر مهما بلغ من المنزلة، وأنه سبحانه يختص من يشاء من عباده بما شاء من فيض علمه.

المبحث الثاني:أساليب تحصيل العلم المستفادة من القصة

الأسلوب له أهميته في المجال التربوي والتعليمي، فتأثيره على المتلقي كبير إن أحسن استخدامه، والأساليب تتعدد وتختلف حسب الحاجة إليها، وحسب المواقف والأحداث والإمكانات، ونحن في هذه القصة الرائعة أمام أساليب متنوعة، ظهرت ضمن سير أحداث القصة، وهي:

١. أسلوب الرحلة

تعد الرحلات من أنفع الطرق في طلب العلم، واكتساب المعارف، ورواية الحديث والأخبار والأشعار، وغيرها من ألوان المعرفة، ويمكن للرحلات أن تسهم بدور بارز في تحقيق الأهداف المرجوة، بشرط مراعاة التخطيط السليم للرحلة، لضمان نجاحها والإفادة منها، وأن تتم الرحلة تحت إشراف قيادة واعية بصيرة، وأن يكون للرحلة برنامج محدد يعرف فيه كل من المعلم والمتعلم الأهداف والمسؤوليات، ويتحققون في نهايتها من الآثار والنتائج [١٤].

وكان العلماء الأوائل يدركون أهمية أسلوب الرحلات ؛ فنرى الواحد منهم يرحل في التثبت من حديث أوخبر سمعه، وقد سجل لنا التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة من هذا القبيل ؛ من ذلك ما حصل لجابر ابن عبدالله الأنصاري حيث رحل مسيرة شهر إلى عبدالله بن أنيس في حديث واحد، قال رضي الله عنه:بلغني عن رجل حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتريت بعير اثم شددت رحلي فسرت إليه شهر ا، حتى قدمت الشام، فإذا عبدالله بن أنيس فقلت للبواب:قل له جابر على الباب، فقال:ابن عبدالله ؟ قلت:نعم، فخرج فاعتنقني، فقلت:حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشيت أن أموت قبل أن أسمعه [١٥]، وكذلك رحلة الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري في طلب حديث واحد من الحجاز إلى مصر ليصل إلى عقبة بن عامر- رضي الله عنه- بسبب حديث يرويه في الستر على المؤمن، ليتأكد من صحة ما يحفظه من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم [١٦].

إن قصة موسى عليه السلام في حد ذاتها رحلة علمية تربوية هادفة، وقد خطط لها تخطيطا محكما، وكانت أهدافها واضحة، وشملت هذه الرحلة مرحلتين:

الأولى:الذهاب إلى مجمع البحرين:وتمثلت في موسى وفتاه، ويمكن أن نلتمس منها ما يلي:

- لم يكن موسى عليه السلام يعلم مكان مجمع البحرين تحديدا، لكنه يحمل الدليل الذي يعلمه به- كما أخبره ربه- وهو أن يحمل حوتا في مكتل ؛ فحيث يتخذ ذلك الحوت سربا في البحر فتلك علامة مكان مجمع البحرين، ويؤخذ من هذا أن الإنسان ينبغي عليه أن لا يمشي طريقا لا يعلمها دون أن يتخذ الدليل الذي يعلمه ويدله، ويتخذ الأسباب التي توصله وجهته ؛ لأن في ذلك مضيعة للوقت، وقد يترتب عليه هلاك النفس.
- شملت هذه المرحلة اختيار الصاحب، وتحديد مهمته، وهو الفتى الذي صحب موسى عليه

[١٤] . موسى ، مصطفى إسماعيل، الاتجاهات الحديثة في طرائق تدريس التربية الإسلامية، دار الكتاب الجامعي . العين، ط ١ ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١٤٩ . ١٥٠ .

[١٥] . النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١ ، ص ١٥ .

[١٦] . المرجع السابق .

السلام فمن الضروري بل من التخطيط المحكم وجود الصاحب في مثل هذه الرحلة الطويلة الشاقة، وهنا جانب تربوي ينبغي الإشارة إليه وهو أن موسى عليه السلام لم يترك صاحبه دون علم بمشاق هذه الرحلة ؛ فبين له أنه سفر قد يستغرق الأزمنة الطويلة، مع ما يصاحبه من مشاق ومتاعب ؛ تهيأة له لتحمل عناء السفر، ويسجل القرآن الكريم هذا الأمر في قوله تعالى:**{وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا }** فموسى عليه السلام يخبر فتاه أنه سيثابر ويمضي باحثا عن مكان مجمع البحرين، ولن يمل حتى ولو كلفه ذلك الأزمنة الطويلة، وهكذا يعلمنا موسى عليه السلام أن من يريد تحقيق هدفه عليه أن يتحمل المشاق والمتاعب ويتحلى بالصبر.

المرحلة الثانية:موسى والعبد الصالح: بمجرد وصول موسى عليه السلام وفتاه إلى مجمع البحرين وجدا العبد الصالح هناك، وهنا يختفي ذكر الفتى ؛ لأن مهمته انتهت، والقرآن الكريم في قصصه دأب على ذكر ما تتعلق به الفوائد، ويترك ذكر ما ليس به فائدة، وهذا أيضا من الجوانب التربوية التي أراد القرآن الكريم أن نعيها ؛ فينبغي أن نذكر في حديثنا ما فيه فائدة للمستمع أو القارئ، ونبتعد عن الحشو الذي لا فائدة مرجوة منه، فدور الفتى انتهى بانتهاء المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية هذه فأحداثها تدور حول المتعلم (موسى) والمعلم (الرجل الصالح)؛ حيث ستدور أحداث القصة المثيرة التي تعلم موسى عليه السلام منها دروسا عظيمة شاهدها على أرض الواقع، وهذا الجانب التربوي ينبغي الاستفادة منه في بناء المناهج الدراسية المقدمة لطلبة العلم، بحيث يبتعد فيها عن الحشو، والإضافات التي لا تفيد الطالب كثيرا، ولا تترك له فرصة البحث عن المعلومات، ولا تشجعه على التفكير الناقد البناء.

٢. أسلوب الحوار

الحوار وسيلة اتصال بين طرفين أو أكثر، وهو من وسائل الاتصال الفعالة، حيث يتعاون المتحاورون على معرفة الحقيقة، والتوصل إليها، ليكشف كل طرف منهم ما خفي على صاحبه منها، والسير بطريق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، وله فوائد كثيرة ومهمة في المجال التعليمي ؛ سواء على مستوى الطريقة التعليمية، أو على مستوى التحصيل ؛ فهو يتيح مجالا لكل من المعلم والمتعلم أن يفهم اتجاهات الآخر وميوله ومتطلباته،كما أنه يظهر قدراته وإمكاناته، وعلى ضوء ذلك يسير المعلم والمتعلم على حد سواء على خط واضح ومنهج سديد.

وقد برز الحوار في هذه القصة بشكل واضح، بل كان ركيزة أساسية وجانبا حيويا في بناء القصة وسير أحداثها، وقد كان له الأثر الطبيعي في رسم الشخصية ووضوحها، وتجسيد المشاعر والعواطف والأحاسيس، وقد أسهم الحوار كثيرا في تطوير الحدث ودفعه إلى مواقف جديدة في خط سير القصة إلى أن تصل إلى النهاية، وذلك بعد أن يعمق الحدث في نفس المتلقي، ويرسم المواقف وما تنطوي عليه النفس الإنسانية من تأثر وانفعال [١٧]. وللحوار آداب يحسن مراعاتها لتحقيق النتائج التربوية المقصودة، هذه الآداب كان لها حضورها من كلا الطرفين ومن أهمها:

- **وضوح الهدف:** فالهدف من الحوار هو تبادل الآراء للخلوص إلى الرأي الأنسب والقرار المحكم، ونجد الهدف الواضح في حوار الرجل الصالح وموسى عليه السلام ؛ والذي يستشف من الحوار أن هدف الرجل الصالح هو معرفة مدى رغبة موسى عليه السلام وإصراره على صحبته والاستفادة منه، وهذا سبيل كثير من المعلمين والتربويين، والتاريخ يحدثنا عن بعض

[١٧]. يُنظر : الحمصي ، قصص الرحمن في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ٣٥٨ .

ما حدث من اختبار بعض العلماء لبعض الطلاب الذين جاءوا لطلب العلم ؛ وذلك ليتحققوا من مدى مصداقيتهم ورغبتهم وا إصرارهم وصبرهم في سبيل طلب العلم [18]، يقول الفخر الرازي أثناء تفسير هذه الآية الكريمة:" وكل ذلك يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بأقصى الغايات، وأما المعلم فإن رأى أن في التغليظ على المتعلم ما يفيده نفعلوا إرشادا إلى الخير فالواجب عليه ذكره ؛ فإن السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور والنخوة ؛ وذلك يمنعه من التعلم " [19].

- **الصدق في الاستدلال:** فاعتماد الصدق في الحديث والاستدلال يجعل الحوار نافعا ومفيدا، ويقود إلى نتائج صحيحة، وهذا ما حصل في قصة موسى عليه السلام والرجل الصالح ؛ فقد كان حوار ا يتسم بالصدق من الجانبين ؛ فالرجل الصالح يعلم أن موسى عليه السلام لن يتحمل ما سيشاهده منه مما يخالف في ظاهر ة . العقل والشرع ؛ لأن موسى عليه السلام مكلف بشريعة تتضمن أحكاما، وقد يشاهد موسى أحداثا تخالف الشرع والعقل، فلا بد أن ينكرها، لذا قال الرجل الصالح في وضوح:**{إنك لن تستطيع معي صبر ا } ولم يتركه في غموض عن عدم قدرته الصبر، بل علل له أن ما سيشاهده ليس في نطاق علمه وعقله ؛ فهو علم اختصه الله به، وليس لأحد به علم، فقال له:{ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبر ا }.**

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى **{ قال إنك لن تستطيع معي صبر ا }:**" أي إنك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه خطا ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب، وهو معنى قوله **{وكيف تصبر على ما لم تحط به خبر ا }**، والأنبياء لا يقرون على منكر، ولا يجوز لهم التقرير، أي لا يسعك السكوت جريا على عادتك وحكمك " [20].

قال ابن عاشور:" وفي هذا أصل من أصول التعليم أن ينبه المعلم المتعلم بعوارض موضوعات العلوم الملقنة؛ لاسيما إذا كانت في معالجتها مشقة " [21].

هذا الصدق والوضوح قاد موسى عليه السلام بعد ذلك إلى حقيقة يقينية ؛ وهي أن الله تبارك وتعالى يختص بعض عباده بما يشاء ويهبه من علمه ما يريد، وأن البشر تتفاوت في تلك المواهب اللدنية.

- **الاحترام المتبادل:** والاحترام المتبادل يقود المتحاورين إلى إبداء الرأي بكل صراحة ووضوح وشفافية للوصول إلى الحق، وهذا ما حصل في هذه القصة، حيث نجد أن الرجل الصالح احترم رأي موسى عليه السلام إذ أصر على صحبته والتعلم منه، مع علمه أي الرجل الصالح أن موسى عليه السلام لن يستطيع تحمل ما يراه مخالفا للشرع والعقل،

---

[18] . من ذلك ما ذكرته المصادر أن ابن بركة (أحد علماء عمان في ق ٤ هـ / ١٠ م) كان يتردد على أبي مالك الصلاني أشهر شيوخه طالباً للتعلم منه وهو يدافعه ، فلما أيقن صدق رغبته وتحقق من إرادته أقبل إليه فعلّمه وأكرمه .وقد جرت مثل هذه القصة أيضاً للشيخ صالح بن علي الحارثي (أحد أقطاب العلم في عمان في ق ١٣ هـ / ١٩ م) مع شيخه العلامة سعيد بن خلفان الخليلي يُنظر : البطاشي ، سيف بن حمود ، إتحاف الأعيان ، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية . مسقط ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ/ ١٩١٩ م ، ج ١ ، ص ٢٩٥ ، والسالمي ، محمد بن عبدالله ، نهضة الأعيان بحرية عمان ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، القاهرة ، ص ٨٣ .

[19] . الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، م ٧ ، ج ٢١ ، ص ٤٨٥

[20] . القرطبي ، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الفكر . بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، م ٥ ، ج ٧ ، ص ٣٩٢

[21] . محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع . تونس ، ١٩٩٧ م ، ج ٧ ، ص ٣٧٢ .

وكذلك نجد موسى عليه السلام يحترم وجهة نظر الرجل الصالح عندما اشترط عليه شروطا إذا هو أصر على صحبته ؛ فعندما قال الرجل الصالح:{ **فإن اتبعتني** } قال له موسى عليه السلام:{ **ستجدني** }.

وبمجرد لقاء موسى عليه السلام بالرجل الصالح يذكر لنا القرآن الكريم في لمحة وجيزة الحوار الذي دار بينهما، وهذا الحوار بمثابة تعارف مشوب باختبار لمدى الرغبة والقابلية والتحمل والصبر في سبيل طلب العلم، يقول الله تعالى:{ **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما. قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا. قال إنك لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا. قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا** }.

ومن ذلك يؤخذ أنه ينبغي للمعلم أن يعرف طلابه، ليتعرف اتجاهاتهم وميولهم وعاداتهم، ومدى رغبتهم وقابليتهم للتعلم؛ ليتخذ الأسلوب والمنهج الصحيح في التدريس، وهذا ما يعرف اليوم في علم النفس بخصائص النمو والفروق الفردية بين المتعلمين، الذي يتم تدريسه في مقررات مستقلة ضمن برامج إعداد المعلمين في الجامعات والكليات.

٣. أسلوب القدوة:

اهتم الإسلام بتربية القدوة في سلوك المربي، وجعل الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو المعلم الأول المثل الأعلى للقدوة الصالحة، فقال عز وجل:{ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** } (الأحزاب:٢١)، فقد كان رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه القدوة في كل شيء، فقد زكاه ربه فقال:{ **وإنك لعلى خلق عظيم**} (القلم:٤).

لذا تعرف القدوة بأنها:من الاقتداء، يقال:فلان قدوة ؛ إذا كان يقتدى به، ولي بك قدوة، ومنها قوله:اقتدى به، أي فعل مثل فعله تشبها به، أو أنها من التقدم، يقال:فلان لا يقاديه أحد، ولا يباريه أحد، ولا يجاريه أحد ؛ وذلك إذا تميز في الخلال كلها [٢٢].

ونلمس القدوة في قصة موسى عليه السلام والرجل الصالح في سلوك موسى عليه السلام مع الفتى ؛ فقد كان رفيقه وصاحبه ولم يتميز عنه في شيء، بل كان له القدوة في المعاملة الحسنة والصبر وتبادل المشاعر والأحاسيس، ولنقف مع بعض تلك السلوكيات الحسنة:

أ ـ الصبر والمثابرة في إنجاز المهمة: موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل الذين اختصهم الله بمزايا كريمة، وفي هذه القصة نجد مواقف متنوعة يتجلى فيه أسلوب الصبر سلاحا مساعدا لإنجاز المهام:

١. فنجد موسى عليه السلام يهيء الفتى ويعلمه كيفية التصميم والإرادة بما يحقق المطلب والهدف :{**وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا** }، غاية في الصبر والمثابرة، ولا سبيل للملل والكلل، أو التقاعس والتكاسل، وهكذا سبيل من أراد تحقيق مأرب وعزم عليه، فقد كان موسى عليه السلام القدوة في الصبر والمثابرة حتى لا يشعر صاحبه بالملل ويتقاعس فيكون صاحب عالة لا صاحب أنس ومعونة.

٢. ونجد الصبر مرة أخرى يتجلى في إصرار موسى عليه السلام على صحبة الرجل الصالح حيث قال { **ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا** }، وهنا أيضا نلاحظ أن موسى عليه السلام علق الصبر بالمشيئة الإلهية، وهذا ما يعطي الإنسان الدافع المعنوي

---

[٢٢] . يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٧٠، مادة (قدا).

في تحقيق ما يصبوا إليه، فكل شيء يريد الإنسان فعله لن يكون إلا بإرادة الله تعالى، وهذا من قبيل الأمر الإلهي في قوله:**{ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا. إلا أن يشاء الله }** (الكهف:٢٣، ٢٤)، وفي هذا توجيه تربوي رائع لطلبة العلم، وهو أن طلب العلم ليس أمر ا هينا، ولا طريقا سهلاوا نما أمره عظيم، وبلغته شاقة، فهو يحتاج إلى مثابرة وصبر وتحمل.

ب ـ التلطف في الخطاب: نلمس ذلك جليا في كثير من مواضع القصة:

١. فنجد القرآن الكريم لم يذكر العبد أو الخادم، وا نما ذكر الفتى **{وا ذ قال موسى لفتاه }** وهذا الأسلوب هو الذي أراد قدوتنا ومعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسلكه، فقال:(لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي) [٢٣].

٢. كذلك نجد إسناد القرآن الكريم نسيان الحوت إلى الاثنين معا مع أن الموكل بالعناية به هو الفتى ؛ ولكن بما أن الأمر يتعلق بموسى عليه السلام، فإنه أيضا مسئول عن العناية به وتعهده، فالمسؤولية مشتركة بينهما، وقد علمنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التلطف والرفق في الحياة، فقال:(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه) [٢٤]، فما أحوج المعلم والطالب إلى التحلي بهذه الصفة الحميدة، خصوصا في عصر يتعرض فيه كل منهما كثير من ضغوطات الحياة وأعبائها ومشاكلها.

جـ التسلية وتبادل المشاعر والأحاسيس (التحفيز): نجد أن موسى عليه السلام يبادل فتاه المشاعر والأحاسيس، تسلية له وتنشيطا لعزيمته ورفعا لهممه ومعنوياته، فيقول له:**{ آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا }**، فالتعب مشترك بينهما، وينبغي على القدوة أن يحس بمن حوله، ويبادله المشاعر، تسلية له، فإذا أحس الصاحب بأن صاحبه قد اهتم به وبادله المشاعر فمن المؤكد أنه يكون أشد إخلاصا، وأقوى عزيمة، وأكثر همة، وبذلك يكون عونا لصاحبه في بلوغ الغاية التي يسعى إلى تحقيقها، فما أحوج المعلم إلى التحلي بهذا السلوك الحسن، فمراعاة مشاعر الطالب وأحاسيسه، ومشاركته فيها، عامل مهم في قدرة المعلم على التأثير في طلبته، وتحقيق الأهداف المرجوة من مادته التي يدرسها. وهذا ما يسمى في الجانب التربوي: (مفهوم الحفز الإنساني)، وتعرف الحوافز بأنها:" قوة خارجية تجذب الإنسان نحوها ؛ لكي يحصل عليها، وذلك من خلال سلوك معين يسمح له بالوصول إلى الحافز، ويجعله مستحقا له " [٢٥].

المبحث الثالث:الوسائل:

الوسائل أدوات مساعدة في طرق التعليم والتعلم والتربية والتهذيب، الوسائل التعليمية كمفهوم هي مرحلة من مراحل تطور تكنولوجيا التعليم، وتعرف بأنها " مجموعة مواقف وأجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلم ضمن إجراءات استراتيجية التدريس لتحصيل عملية التعليم والتعلم " [٢٦].

---

[٢٣] . مسلم ، صحيح مسلم ، حديث رقم (٢٢٤٩) باب: حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد، ج ٤، ص ١٧٦٤،

[٢٤] . المرجع السابق، حديث رقم (٢٥٤٩) باب: فضل الرزق، ج ٤ ، ص ٢٠٠٤.

[٢٥] . البدري ، طارق عبدالحميد ، أساسيات الإدارة التعليمية ومناهجها ، دار الفكر عمان ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ م ، ص ١٣٥.

[٢٦] . زيتون، كمال عبدالحميد، التدريس نماذجه ومهاراته، عالم الكتب . القاهرة، ط ١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م، ص ٣٤٣

واستخدام الوسائل في العملية التعليمية ضروري للغاية، فأهميتها لا تكمن في الوسائل في حد ذاتها ؛ ولكن فيما تحققه هذه الوسائل من أهداف سلوكية محددة ضمن أسلوب متكامل، يضعه المدرس أو المدرب لتحقيق الأهداف.

ومن أهم فوائد استخدام الوسائل التعليمية، أنها تساعد على استثارة اهتمام المتلقي، وزيادة رغبته في التعلم، كما أنها تجعل حواس المتلقي جميعها تشترك في عملية التعلم ؛ مما يؤدي إلى ترسيخ الفكرة أو المعلومة، وتعميقها في زمن قياسي [٢٧].

وفي هذه القصة تحتل الوسائل التعليمية محور ا أساسيا ؛ والغرض منها تحقيق الهدف دون كثير عناء وكلفة، وبتدبر القصة نجد الوسائل المستخدمة تنقسم إلى نوعين:

الأول:وسائل إرشادية:وهي الوسائل التي تساعد الإنسان في الوصول إلى مكان ما، كما هو الحال في استخدام الخرائط الإلكترونية أو أي أجهزة حديثة، أما موسى عليه السلام فقد استخدم الوسائل المتاحة للوصول إلى المكان الذي أخبره ربه أنه سيجد الرجل الصالح فيه، ومن الوسائل التي استخدمها:

١- **الحوت:** ذكرنا آنفا أن موسى عليه السلام عندما أراد التوجه إلى مجمع البحرين وهو المكان الذي أخبره الله سبحانه أنه سيجد فيه الرجل الصالح لا يعلم مكانه بالتحديد ؛ ولذا أمره الله تعالى أن يحمل معه حوتا في مكتل، فحيث يفقد الحوت فهو المكان المحدد، وفعلا حصل ذلك، ووصل موسى إلى مقصده بدلالة الحوت [٢٨].

٢- **الأثر:** استخدام اقتفاء الأثر من الوسائل التي تستخدم منذ القدم في التعرف على مكان محدد، وموسى عليه السلام عندما تخطى المكان الذي يريده وأراد الرجوع إليه استخدم الأثر كوسيلة تدله على الطريق الذي جاء منه هو وفتاه، حتى يصل إلى المكان الذي فقد فيه الحوت دون أن يضل الطريق، لأنه هو المكان الذي يقصده **{ فارتدا على آثارهما قصصا }**، أي رجعا على الطريق الذي جاءا منه يقصان أثرهما، لئلا يخطئان طريقهما، والقصص في اللغة:اتباع الأثر [٢٩].

أما النوع الثاني فهو:الوسائل التعليمية، وهي عرض المعلومة بطريق المشاهدة المحسوسة، وهي وسيلة الرجل الصالح في إقناع موسى عليه السلام بأنه لا يستطيع الصبر على أمر ليس في نطاق عقله البشري المحدود، فبعد الاتفاق بين الرجل الصالح وموسى عليه السلام على المنهج تبدأ أحداث القصة المثيرة، وتمثلت في مشاهد ثلاثة:

الوسيلة الأولى:مشهد خرق السفينة

يصور لنا القرآن الكريم بحركة سريعة هذا المشهد المثير ؛ فبمجرد ركوب الرجل الصالح وموسى عليه السلام السفينة بادر الرجل الصالح إلى خرق السفينة دون سبب ظاهر أو معلوم **{حتى إذا ركبا في السفينة خرقها }**، لذا كانت ردة فعل موسى عليه السلام مباشرة باستنكار تلك الفعلة، التي تعد في نظره تخريبا وإفسادا وإتلافا لمال الغير، وما يترتب على هذه الفعلة من غرق السفينة بمن فيها **{ قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا }**، استنكر موسى عليه السلام هذه الفعلة، ونسي اتفاقه مع الرجل الصالح، وكأن الموقف في نظره لا يحتمل الصبر والسكوت، فهو مخالف للعقل والشرع.

إذن هنا أول مخالفة يرتكبها موسى عليه السلام للاتفاق بينه وبين العبد الصالح ! فما موقف العبد

---

[٢٧]. يُنظر : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ . ٣٤٦ .

[٢٨]. يُنظر : رواية القصة من هذا البحث .

[٢٩]. يُنظر: ابن منظور ، لسان العرب، مادة (قصص)، ج ١١، ص ١٩١ .

الصالح من هذه المخالفة ؟ هنا يتجلى الموقف التربوي لحلم المعلم مع المتعلم ؛ لإدراكه محدودية عقله، وعلمه بما رآه من مشهد ليس في مقدور عقله أن يصدقه، فقال له في عتاب غاية اللطف **{قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا}** وكان اعتذار موسى عليه السلام حاضرا ؛ بأن الشيطان أنساه ذلك الاتفاق، وأن الذي شاهده أمر ليس في نطاق عقله **{ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا }** فعذره وأعطاه فرصة ثانية.

الوسيلة الثانية:مشهد قتل الغلام

بعد ذلك المشهد التخريبي للسفينة، يأتي مشهد فيه من القسوة بمكان ؛ فتى يلعب في الطريق، ولم يقترف أي خطيئة، ويمر عليه الرجل الصالح، فيتناوله ويقتله أمام موسى عليه السلام، هذا المشهد الفظيع أنسى موسى عليه السلام اتفاقه مع الرجل الصالح، وأثار غضبه فقال مستنكرا أشد من ذي قبل:**{ أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا }**، ويقابل الرجل الصالح ذلك النكير بتذكير موسى عليه السلام مرة ثانية باتفاقهما، وهنا نلاحظ سياق التذكير فيه زيادة **(لك)** وهي تناسب سياق نكير موسى عليه السلام الذي ورد فيه **(نكرا)!**

إذن بماذا ينتهي الاختلاف في هذا المشهد وهو المرة الثانية التي يعترض موسى عليه السلام على الرجل الصالح صنيعه، وقد اتفق معه قبل ذلك أن لا يسأله عن شيء مما يراه حتى يخبره به ؟

أراد موسى عليه السلام أن يضع حدا لهذه المواقف التي تتعارض مع الشرع الذي يحمله، وتتصادم في ظاهرها مع العقل البشري المحدود ؛ فقرر أن ينسحب من الاتفاق إن تعرض لموقف مشابه، وكأنه اقتنع بأن علم هذا الرجل الذي يصحبه علم ليس في قدرته أن يصل إلى فهمه، وأن الله يهب من يشاء ما يشاء، ويختصه بما يشاء ؛ لذا قال لصاحبه **{ إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قبلغت من لدني عذرا}** فهو يجعل العذر لصاحبه مسبقا إن هو سأله بعد ذلك.

الوسيلة الثالثة:مشهد إقامة الجدار

هذا المشهد يختلف تماما عن المشهدين السابقين، فالمشهدان السابقان في ظاهرهما تخريب، أما هذا المشهد فهو عمل خيري. بعد الاتفاق مرة أخرى، وعلى أن تكون هذه المرة هي الفرصة الأخيرة، ينطلق موسى عليه السلام بصحبة الرجل الصالح ويأتيان قرية، فيطلبان من أهلها ضيافتهما، فيمتنع أهل القرية عن ذلك، فمضيا يتجولان في تلك القرية، ويمران بحائط قد تهدم فيسارع الرجل الصالح لإقامته وا إصلاحه، فاستغرب موسى عليه السلام من صنيعه، مع ما قوبلا به من أهل تلك القرية، ففي نظره أنهم لا يستحقون أن يعمل فيهم معروف مع حالتهم تلك، فيتوجه باقتراحه لصاحبه وفي أسلوب مهذب **{ لو شئت لاتخذت عليه أجرا }** قال موسى عليه السلام ذلك لأنهما يحتاجان إلى طعام، وكان بإمكان الرجل الصالح أن يأخذ مقابل عمله هذا طعاما أو مالا، هذا في حساب موسى وتقديره، لكن الأمر يختلف في علم صاحبه، لذا كان هذا المشهد مؤذن بحل الاتفاق وحلول الافتراق.

وقبل الافتراق أراد العبد الصالح أن يبينلموسى عليه السلام ما لم يستطع الصبر عليه، حتى لا يجعله في حيرة من أمره **{ قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا }** وسيتم تناول تعليل ما قام به الرجل الصالح في المبحث القادم.

الوسيلة الرابعة:العصفور

روي أن الرجل الصالح عندما اصطحب موسى عليه السلام في السفينة جاء عصفور ووقف على حرف السفينة وغمس منقاره في البحر، فاستغل الرجل الصالح هذا المشهد ليعلم موسى عليه السلام فقال

له:ما علمي وعلمك وعلم جميع الخلائق في علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر [٣٠].

تلك هي الوسائل التي استخدمها العبد الصالح في إعطاء موسى عليه السلام درسا في أن الله تعالى يهب كل مخلوق علما ويختصه بأشياء تختلف عن الآخر، حسب مقتضى رسالته في الحياة، وأن الإنسان مهما بلغ من منزلة عالية في العلم ينبغي أن لا يظن أنه وحيد زمانه، وأنه لا أحد أعلم منه.

المبحث الرابع:الأسس التربوية التي تضمنتها القصة

في ثنايا حديثي في المباحث الماضية ذكرت عددا من الأسس التربوية التي ينبغي إدراكها والعناية بها ؛ سواء المتعلقة منها بالمعلم أو بالمتعلم، وقد ذكرتها هناك إجمالا، وفي هذا المبحث سأزيد بعضا منها إيضاحا، بجانب ذكر أسس أخرى تضمنتها القصة.

١. **أهمية العلم:**العلم أسمى ما يبتغيه الإنسان، ولا يمل منه من عرف قدره وذاق حلاوته، ومطلع هذه القصة يعلمنا ما ينبغي على طالب العلم من بذل الجهد في طلبه، واستعذاب المشاق في الحصول عليه، وعدم استطالة الوقت في المسير إليه [٣١].

إن هذه القصة الرائعة كما يقول أبو الحسن الندوي:" تثبت بصورة واضحة أن وراء المعلومات والمكشوفات في هذا العالم وفي هذه الحياة مجهولات كثيرة، وأن ما يجهله الإنسان ولو كان أعظم إنسان في عصره أكثر مما يعلمه " [٣٢]، لذا كان اختيار الله سبحانه وتعالى هذه الشخصية العظيمة موسى عليه السلام، وهو أعظم شخصية في عصره، فقد أوتي علما كثير ا لخير ا عميما، وهو من أولي العزم من الرسل، وكلمه ربه واصطفاه وقربه نجيا ؛ ليكون في مكان طالب العلم الذي يسعى بتواضع وصبر عميم، لمعرفة ما خفي عليه من علم الله الواسع، الذي اختص به بعض عباده ؛ إدراكا من موسى عليه السلام بأهمية العلم، وأن الإنسان مهما بلغ من مرتبة عالية ودرجة كبيرة في العلم لا يزال بحاجة إلى المزيد.

٢. **الصبر في سبيل تحقيق المطلب:**الصبر هو مفتاح انفراج الأمور الصعبة، وطلب العلم من الأمور التي تحتاج إلى صبر كبير، وطالب العلم الحقيقي يجب أن يتحلى بالصبر إذا أراد الحصول على بغيته من العلم، وموسى عليه السلام يدرك هذه الحقيقة تمام الإدراك ؛ ويعلم أن الطريق التي يسلكها ليست سهلة المنال، فيقول لفتاه في قوة عزيمة وصبر جم:**{ لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا }.**

قال الفخر الرازي:" وهذا إخبار من موسى بأنه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر، لأجل طلب العلم، وذلك تنبيه على أن المتعلم لو سافر من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك " [٣٣]. لكننا نجد موسى عليه السلام مع هذا الإصرار وتلك العزيمة المتوقدة والصبر الجميل في بداية هذه الرحلة العلمية ينفد صبره، ويتعلم درسا بل دروسا متعددة، تخلدها لنا هذه القصة الرائعة، لنستفيد منها الكثير في مسيرتنا التربوية. ففي هذا المجال تعلمنا هذه القصة أن الإنسان مطالب بالصبر، لكن مع ذلك يجب أن ندرك أن الصبر له حدود، وهو أمر نسبي، فالإنسان يصبر في حدود المعقول، فموسى عليه السلام تحلى بالصبر في البداية، أي في المرحلة الأولى من هذه الرحلة، لكنه لم يستطع إلى ذلك سبيلا في المرحلة الثانية ؛ لأن ذلك خارج عن حدود طاقاته وقدراته العقلية، فهو لا ينظر ما وراء المعقول،وإنما يحكم بما

---

[٣٠]. يُنظر : مسلم ، صحيح مسلم ، حديث رقم (٢٣٨٠) ج ٤ ، ص ١٨٤٩ .

[٣١]. يُنظر : إسماعيل ، محمد بكر ، قصص القرآن ، دار المنار ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٢١٥ .

[٣٢]. يُنظر : الحمصي ، أحمد فائز ، قصص القرآن في ظلال القرآن ، مؤسسة الرسالة .بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م، ج ٣ ، ص ٣٤٤ ، بتصرف .

[٣٣]. التفسير الكبير ، م ٧ ، ج ٢١ ، ص ٤٧٩ .

آتاه ربه من شريعة، أو بما لا يتعارض مع العقل في الظاهر ؛ مما قاده إلى الاستسلام للواقع، والانسحاب مما لا طاقة له به، وهذه في نظرنا ليست من الأمور السلبية ؛ أي أنها ليست استسلام المنهزم، ولكنها معرفة للقدرات والطاقات البشرية الممكنة وتقدير ا لها، وتعلمنا أن الإنسان لا يضع نفسه فيما لا تستطيع إدراك معناه، ففي ذلك مضيعة للوقت والجهد، وقد ميز الله تعالى كلا منا عن الآخر بميزات، وجعل لكل إنسان قدرات معينة تعينه على تأدية رسالته في الحياة، وفي ذلك يقول جل ثناؤه:{ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** } (البقرة:٢٨٦)، وقوله:{ **لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها** } (الطلاق:٧)، وهذا التمايز البشري من متطلبات الحياة، فقد جعله الله تعالى من أسس التكامل بين الناس، لذا كان الإنسان في حاجة إلى أخيه الإنسان، فكان اجتماعيا بفطرته.

٣. **أدب الحديث:** السياق القرآني دقيق في التعبير والبيان، وأسلوبه غاية في الإتقان، ومن خلال هذه القصة نتوقف مع بعض هذه الأساليب ؛ كونها أسسا تربوية في الحديث والتخاطب، ونجد أن أدب الحديث في هذه القصة له جوانب متعددة، سنقف عند أهمها:

أ- **أدب الحديث مع الصاحب:** في المرحلة الأولى من الرحلة في هذه القصة نجد ذكر موسى عليه السلام والفتى، وقد سبقت الإشارة إلى لطف موسى عليه السلام في خطابه مع الفتى، ويؤخذ من ذلك أن للحديث أثر ا في النفس بين المتخاطبين، فالحديث اللطيف له وقعه في نفس المتلقي ؛ بحيث يجعله في أريحية تامة في تعامله، يتفاعل بروح نشطة متعاونة، ويعمل بإخلاص وتفان وا تقان.

ب- **أدب الحديث مع المعلم:** نجد في هذه القصة الأدب الجم من المتعلم (موسى عليه السلام) في خطابه لمعلمه (الرجل الصالح) [٣٤]، فبمجر لقاء موسى عليه السلام بالرجل الصالح بادره بسؤال لطيف غاية في الأدب:{ **هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا** }، قال القرطبي:هذا سؤال الملاطف والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب، المعنى:هل يتفق لك ويخف عليك ؟ " [٣٥]، وقال الشوكاني:" في هذا السؤال ملاطفة، ومبالغة في حسن الأدب ؛ لأنه استأذنه أن يكون تابعا له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم... وفي الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وا ن تفاوتت المراتب، وليس في ذلك ما يدل على أن الخضر أفضل من موسى ؛ فقد يأخذ الفاضل عن الفاضل، ويأخذ الفاضل عن المفضول إذ اختص أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر ؛ فقد كان علم موسى علم الأحكام الشرعية والقضاء بظاهرها، وكان علم الخضر علم بعض الغيب ومعرفة البواطن " [٣٦].

جـ **أدب الحديث مع طالب العلم:** إن الرجل الصالح يعلم أن موسى عليه السلام قادم إليه للتعلم فهذه الرحلة بأمر إلهي وهو يعلم أيضا أن موسى عليه السلام لن يستطيع الصبر على ما سيشاهده ؛ لكنه أجابه إجابة غاية في اللطف، لم يجبه بالامتناع، بل قال له { **إنك لن تستطيع معي صبر ا** } وقال له مبينا له سبب ذلك {**وكيف تصبر على ما لم تحط به خبر ا** }، قال ابن عاشور في تفسيره:" وفي تأكيده ذلك بالتعليق على مشيئة الله استعانة به، وحرصا على تقدم التيسير تأدبا مع الله إيذان بأن الصبر والطاعة من المتعلم الذي له شيء من العلم أعسر من صبر وطاعة المتعلم الساذج ؛ لأن خلو ذهنه من العلم لا يحرجه من مشاهدة الغرائب، إذ ليس في ذهنه من المعارف ما يعارض قبولها، فالمتعلم الذي له نصيب من العلم

---

[٣٤]. قال الفخر الرازي : " إعلم أن هذه الآيات تدل على أن موسى . عليه السلام . راعى أنواعاً كثيرة من الآداب واللطف عندما أراد أن يتعلم من الخضر "وذكر من ذلك اثني عشر أدباً يُنظر : التفسير الكبير ، م ٧ ، ج ٢١ ، ص ٤٨٣ . ٤٨٤ .

[٣٥]. الجامع لأحكام القرآن ، م ٥ ، ج ٩ ، ص ٣٩١ .

[٣٦]. الشوكاني ، محمد بن علي ، فتح القدير ، دار الحديث . القاهرة ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ج ٣ ، ص ٤٢٣ .

وجاء طالبا الكمال في علومه إذا بدا له من علوم أستاذه ما يخالف ما تقرر في علمه بادر إلى الاعتراض والمنازعة، وذلك قد يثير النفرة بينه وبين أستاذه، فلتجنب ذلك خشي الخضر أن يلقى من موسى هذه المعاملة فقال **{ إنك لن تستطيع معي صبرا }** فأكد له موسى أن يصبر ويطيع أمره إذا أمره " [٣٧].

"وهكذا قدم العبد الصالح عذرا لموسى بأنه لن يستطيع أن يصبر، وليس هذا لنقص في موسى عليه السلام، ولكن لأن الله أخبر العبد الصالح بأمور لم يخبر بها موسى " [٣٨].

ومع علم الرجل الصالح بعدم قدرة موسى عليه السلام على الصبر معه لم يمتنع من مصاحبته، بل أراد أن يقتنع موسى بنفسه، فسمح له بصحبته على شرط أن لا يسأله عن شيء حتى يبدي له بيانه بنفسه **{ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا }**.

د- أدب الحديث مع الله عز وجل: الحديث مع الله عز وجل يجب أن يكون أشد أدبا من الحديث مع غيره، ونجد في هذه القصة نماذج تربوية عالية من أدب الحديث مع الله سبحانه، ومن ذلك أن العبد الصالح عندما بين لموسى عليه السلام سبب خرق السفينة قال: **{إنك لن تستطيع معي صبراً }**. فنسب إعابة السفينة إلى نفسه، ولكنه عند بيانه سبب بناء الجدار نسب الإرادة إلى الله تعالى **{فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما }**، وهذا الأسلوب غاية في الأدب التربوي ؛ حيث نسب إلى نفسه إرادة ما في ظاهره إفساد وتخريب، وهو خرق السفينة، ونسب إلى الله عز وجل إرادة ما فيه إصلاح وبناء؛ مع أن كلا الأمرين بوحي من الله تعالى حيث قال العبد الصالح: **{ وما فعلته عن أمري }**، وهذا من أدب الحديث مع الله عز وجل، وهو أدب أرشدنا إليه القرآن الكريم في هذه القصة وفي غيرها من المواضع ؛ فنبينا إبراهيم عليه السلام يقول كما حكى القرآن الكريم عنه: **{ وإذا مرضت فهو يشفين }** (الشعراء:٨٠) لم يقل وإذا أمرضني كما قال قبل ذلك: **{ الذي خلقني فهو يهدين. والذي يطعمني ويسقين }** (الشعراء:٧٨، ٧٩)، وحكى القرآن الكريم عن أيوب عليه السلام متضرعا إلى ربه **{ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين}** (الأنبياء:٨٣)، **{ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب}** (ص:٤١) ؛ فقد نسب المس إلى الضر وإلى الشيطان، وهو يعلم أن النافع والضار هو الله سبحانه وتعالى، ولكنه الأدب مع الله تعالى، ومن هذا القبيل حكى الله عن فتى موسى في هذه القصة قوله **{وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره}**.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه: (والخير كله بين يديك، والشر ليس إليك)[٣٩]. فينبغي علينا في حديثنا مع الله تعالى أن نراعي هذه الأمور، فلا ننسب شيئا من الأفعال السيئة إلى الله تعالى ونقول إنها بإرادة الله، فالله لا يأمر بسوء مطلقا.

٤- التواضع: التواضع من سمات الصالحين المصلحين، ولا بد للمربي المصلح أن يتصف بهذه الصفة ؛ ليترك الأثر الإيجابي الواضح في محيطه، وفي هذه القصة نماذج متعددة للتواضع، أذكر منها ما يلي:

- ✓ في المرحلة الأولى من هذه الرحلة التي كانت شخصياتها موسى عليه السلام والفتى نجد موسى عليه السلام بجلالة قدره لا يتميز بشيء عن خادمه، بل ضرب مثالا يحتذى في التواضع، فكان يعامله معاملة الصاحب والصديق ؛ يشعر

[٣٧]. ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ٧ ، ص ٣٧٣ .

[٣٨]. الشعراوي ، محمد متولي ، قصص الأنبياء ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ج ٤ ، ص ٢١٣ .

[٣٩]. مسلم ، صحيح مسلم ، حديث رقم (٧٧١) باب: الدعاء في صلاة الليل، ج ١، ص ٥٣٥ .

بشعوره، ويبادله الأحاسيس، ويأكل معه، ويلاطفه الحديث.

✓ ومن ذلك نجد أن نبينا موسى عليه السلام وهو نبي مرسل من الله تعالى ولديه التوراة فيها هدى ونور عندما سمع برجل هو أعلم منه لم يتكبر، بل ازداد تواضعا، وأصر على الاستفادة منه، وتحمل المشاق والمتاعب في سبيل اكتساب العلم، وهكذا يجب على الإنسان أن لا يتكبر على من هو أعلم منه، فالعلم بحر لا ساحل له، ومهما بلغ الإنسان من منزلة علمية فهي بمثابة قطرة من بحر، والمطلوب منه أن لا يتوقف عند حد، فالله تعالى يقول مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم:**{وقل رب زدني علما }** (طه:١١٤)، وهو القائل:**{ وفوق كل ذي علم عليم }** (يوسف:٧٦) فلا مجال للتكبر، ومن ظن أنه علم فقد جهل، وآفة العلم التكبر، يقول الشعراوي:" إن قول موسى للعبد الصالح **{ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا }** يلفت الحق سبحانه وتعالى إلى أنه مهما رفعت درجة الإنسان فإنه يجب أن لا يتكبر، بل لا بد أن نتواضع جميعا، فالكبرياء لله وحده، ويجب ألا يغتر إنسان بعلمه أو بما آتاه الله من فضله فيتكبر في الأرض "[٤٠].

✓ ومن سمات التواضع عند موسى عليه السلام تقديمه المشيئة الإلهية طلبا لعون الله تعالى من جهة، وطلبا لمرضاة الرجل الصالح من جهة أخرى، وتخفيفا من ثقل الوعد إن وقعت منه مخالفة [٤١]، " وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب؛ فاستجهل نفسه، واستأذن أن يكون تابعا له، وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم " [٤٢].

✓ ومن كمال التواضع عند موسى عليه السلام أنه وعد الرجل الصالح بأنه لا يعصي له أمر ا مهما كان فيه من الكلفة والمشقة، وهذا بطبيعة الحال ما لم يكن هذا الأمر معصية، وهو يعلم من حاله أنه لا يأمر بمعصية [٤٣].

٥. **عدم التسرع في الحكم فيما لا علم لنا به:**إن إصرار موسى عليه السلام العجيب وهمته العالية ورغبته الجامحة للمعرفة ؛ جعلته يندهش للمشاهد الغريبة والعجيبة التي رآها أمام ناظريه؛ مع أخذه على نفسه أمام معلمه (الرجل الصالح) أن يتحلى بالصبر ؛ وأنه سيشاهد أمور ا غريبة لا يعلم كنهها، مع ذلك كله نجده ينسى كل ذلك أمام ما رآه من مشاهد، ويتسرع في الحكم عليها ؛ وهذا ما جعله لا يواصل مسيرته التعلمية مع الرجل الصالح، وكان بإمكانه أن يشاهد المزيد مما خفي عليه علمه، ويستفيد من علم الله الذي أودعه الرجل الصالح.

ونأخذ من هذا أنه ينبغي على طالب العلم أن لا يتسرع في حكمه على أمور ليست في محيط علمه، فعلم الإنسان محدود، واللهـ سبحانهـ أعطى كل إنسان قدرة يستطيع من خلالها اكتساب علم يختلف عما عند غيره، فكم يسمع الإنسان من معلومات وحوادث، لا يصدقها عقله، ولا يستسيغها فكره، فيسارع إلى إنكار إمكانية تصديقها قبل معرفة ما يحيط بها من أسباب تجعلها محل إمكان وقوعها وتحققها.

٦. **الرحمة:**الرحمة من سمات الأنبياء، فهي قاسم مشترك بينهم جميعا، والله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه محمدا. صلى الله عليه وسلم بقوله: **{وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}** (الأنبياء:١٠٧).

---

[٤٠]. قصص الأنبياء ، ج ٤ ، ص ٢١٣٠

[٤١]. إسماعيل ، محمد بكر ، قصص القرآن ، ص ٢١٧ .

[٤٢]. الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

[٤٣]. المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

وهذه الصفة تجلت بلمحة بسيطة في هذه القصة بعبارة قصيرة المبنى كبيرة المعنى، وفي موقف يرى فيه الإنسان الهلاك، لكنه يتعالى عن الأنا، وينظر بمنظور الرحمة والشفقة بمن حوله ؛ فعندما أنكر موسى عليه السلام على الرجل الصالح خرق السفينة قال له: **{أخرقتها لتغرق أهلها }**، وفي هذا دلالة على أن موسى عليه السلام كان أشد حرصا على نجاة أهلها منه على نفسه [٤٤].

كما أن صفة الرحمة تجلت بشكل واضح وصريح في إنكار موسى عليه السلام على الرجل الصالح في قتله للغلام الذي لم يرتكب جرما ولا ذنبا ظاهرا يستحق عليه العقاب، فضلا عن القتل، فموسى عليه السلام يرى غلاما بريئا في نظره يقتل أمام ناظريه ؛ فتتجلى صفة الرحمة بشكل صريح، مما جعله ينسى شرط صاحبه عليه في عدم الاعتراض والإنكار ويصرخ منكرا **{لقد جئت شيئا نكرا }**، غاية في الشفقة والرحمة.

٧- **الحلم**:الحلم زينة الإنسان، ودليل شخصيته المتزنة، ولا بد أن يكون المربي والمعلم أوسع صدرا وأكثر اتزانا من غيرهما، وفي هذه القصة يلتقي رجلان كل منهما معلم ومربي وإن كان في الظاهر في هذه الرحلة أن الرجل الصالح هو المعلم وموسى عليه السلام هو التلميذ.

إن هذه القصة الرائعة تعلمنا كيف يكون حلم الأستاذ مع تلميذه، وصبره عليه، وتقديره للظروف المحيطة به؛ فالرجل الصالح يعلم يقينا أن موسى عليه السلام لن يستطيع الصبر على ما سيشاهده من مواقف وأحداث تعد من خفيات الأمور وخوارق العادات ؛ لكنه أراد أن يعلمنا كيف نتعامل بحلم وصبر مع من يجهل حقيقة الأمر، فلا نقابل نكيره بالزجر والقسوة، أو الأسلوب الحاد المجرح، ففي أول موقف من مواقف حلم المعلم في هذه القصة لم يزد الرجل الصالح على أن ذكر موسى عليه السلام بالشرط الذي اتفقا عليه في بداية الرحلة، وأنه أخبره بأنه لن يستطيع صحبته **{ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا }**، وفي الموقف الثاني كان إنكار موسى عليه السلام على صنيع الرجل الصالح قاسيا واعتراضه كبيرا ؛ لكن الرجل الصالح أيضا لم يزد على تأكيده على موسى عليه السلام باتفاقهما، ولو لا أن موسى عليه السلام وضع حدا افترقا على إثره لتعلمنا دروسا كثيرة من حلم الرجل الصالح وأسلوبه وصبره على تلميذه.

٨- **الغضب لله**:من واجب الفرد المسلم أن يغضب لله، فكيف بنبي من أنبياء الله وأصفيائه، وغضب موسى في هذه القصة لا يلام عليه ؛ لأنه رأى بأم عينيه بل وفي حضرته أمورا لا يقرها شرع ولا يصادقها عقل، والذي قام بفعل هذه الأمور رجل صحبه موسى عليه السلام ليتعلم منه ؛ فقد كان خرق السفينة وهو أول المشاهد التي شاهدها في رحلته العلمية في الظاهر تخريبها وإغراقها بمن فيها، وهذا العمل يدل في الظاهر على أن الذي قام به غير مبال بعواقب الأمور ؛ لذا كان استفهام موسى عليه السلام الاستنكاري يحمل في طياته عتابا فيه شيء من القسوة، إضافة إلى أنه ينطلق من حكم شرعي رأى من الواجب تذكير أستاذه به.

أما في المشهد الثاني، فقد رأى موسى عليه السلام فعلة أشد من سابقتها، إذ أن في الأولى مظنة القتل، أما هذه فإنها وقعت على نفس بريئة لم ترتكب جرما ؛ لذا لم يستطع موسى عليه السلام أن يتمالك نفسه معها، ولا أن يتحكم في مشاعره، ونسي الاتفاق، بل ونسي زلته الماضية في المشهد السابق، فاشتاط غضبا، وأنكر على أستاذه إنكارا غليظا، وغضبه هذا من منطلق نفس رحيمة، وشريعة قويمة يحكم بها ويغضب لأجلها . وهكذا يعلمنا موسى عليه السلام وهو الرجل الرحيم الحليم، أن الغضب إنما يكون في موضع وحدث يخالف شريعة الله تعالى، وأنه لا يمكن السكوت عن فعل تنتهك

---

[٤٤] . المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

فيه حرمات الله، مهما كان فاعله، ومهما كانت الظروف.

٩فضيلة الرجوع إلى الحق: الرجوع إلى الحق من شيم الفضلاء؛ إذا كان ذلك كذلك فإن نبينا موسى عليه السلام هو أعرف الناس بالحق، وهو كذلك أهل للفضل، لهذا عندما أحس أنه أخطأ في الإخلال بشرطه الذي أخذه على نفسه، سارع إلى الاعتراف بذلك، والتمس العذر من صاحبه بأسلوب مهذب ؛ ففي الموقف الأول، عندما ذكره صاحبه بأنه ارتكب خرقا للاتفاق، بادر موسى عليه السلام على الفور بالاعتذار، وبرر خطأه بالنسيان؛ إذ لا فإن موسى مع شرطه، **{ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا }**، أما في الموقف الثاني، فإن صاحب الفضل والعارف بالحق قسى على نفسه، فعاقبها بوضع حد إن عاد مرة أخرى فأخل بالشرط ؛ فأعطى العذر لصاحبه، بحرمانه من صحبته إن اعترض على أي فعل بعد ذلك **{ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا }**.

هكذا يكون الرجل الحصيف المتواضع العارف بالحق الذي يجعل الأمور في نصابها، ويعرف قدر نفسه فلا يعطيها أكبر من حجمها، ولا يتعصب لرأيه، ولا يصر عليه إن عرف أنه جانب الصواب؛ بل يرجع إلى الرأي الحق والطريق الصواب، فهو الفضيلة التي ترفع من شأن صاحبها وتعلي من قدره.

١٠- عدم ترك المتعلم في حيرة: إذا كان من الأساليب التربوية ترك فسحة من الوقت للمتعلم ؛ ليكتشف المعلومة من خلال التفكير وإعمال العقل ؛ فإن من الواجب أن لا يترك رهين ما هو خارج نطاق إمكاناته العقلية والفكرية ؛ حتى لا يتشتت به الفكر وتتداخله الشكوك، فيعيش في حيرة من أمره.

لذا نرى الرجل الصالح قبل فراقه موسى عليه السلام لم يتركه دون تبيان ما أشكل عليه من تلك المشاهد الغريبة العجيبة، بل قال له: **{ سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا }**، وبين له تأويلها واحدة واحدة **{ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا. وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك }**، وأكد له أنه لا ينطلق في تلك الأفعال عن هوى في نفسه، ولا يصدر أحكاما من تلقائها، بل كل ما فعله إنما هو من أمر الله **{ وما فعلته عن أمري }**، وبهذا البيان الواضح " قد فعل المعلم ما تقضي به الحكمة، ويعتدل به ميزان التربية السليمة " [٤٥].

وفي النهاية أفاد موسى عليه السلام من هذه الرحلة العلمية التربوية الشيء الكثير ؛ فبعد أن ظن أنه أعلم الناس في عصره كما جاء في بداية القصة. أيقن بصدق أن فوق كل ذي علم عليم، وأن الإنسان مهما بلغ مرتبة عالية في العلم فإن هناك من اختصه الله ببعض علمه وآثره به عن غيره. وبقي أن نستفيد من هذه القصة الرائعة في حياتنا العلمية ومسيرتنا التربوية.

الخاتمة:

ما أجرأ الإنسان حين يدعي أنه أعلم أهل الأرض ! وما أعجله في الحكم على ما خفي عليه علمه ! وما أجمل ظهور الحقائق بعد الخفاء ! هكذا مضت بنا هذه القصة الرائعة في رحلة حقيقية، جعلتنا نتفاعل مع أحداثها وشخصياتها وكأننا نواكب الحدث ونراه بأم أعيننا ؛ لتقول لنا أن هذه الحياة لا تزال بكرا بالنسبة إلى الاكتشافات العلمية، وأن الإنسان ما يزال يكتشف ويكتشف، ومهما اكتشف ؛ فإن العلم البشري لم يصل

[٤٥]. محمد بكر ، قصص القرآن ، ص ٢٢٦ .

إلى حده الأخير، فالعلم ليس له آخر، وفوق كل ذي علم عليم.

سارت أحداث القصة وفق ترتيب خاص ، وكل حدث أخذ مكانه المناسب وزمنه المحدد ، حتى وصلت نهايتها ، ويتحقق الهدف المنشود في زمن قياسي .

القصة عندما حكاها القرآن الكريم لا يريد من وراء ذلك حكايتها أو التلذذ بأحداثها ؛ وإنما المقصد والمغزى والهدف أن نستفيد منها ما ينفعنا في واقعنا، وما أكثر الدروس في هذه القصة ، وما أجمل المواقف المفيدة .

أخبرتنا هذه القصة عن تجربة قاسية ومغامرة صعبة ، صاحب هذه التجربة ليس شخصاً عادياً ؛ وإنما نبي مرسل ، أراد الله سبحانه أن يريه عظمته في خلقه ، وحكمته في ملكوته ، فعندما ظن موسى . عليه السلام . أنه الأعلم على وجه الأرض ؛ أمره ربه بهذه الرحلة ؛ ليكتشف بنفسه أنه ما أوتي من العلم إلا قليلاً ، وأن الله يودع في خلقه من العلوم ويختص بها من عباده من يشاء حسب مقتضى حكمته ، ومن هذا نستخلص أن الحياة التكاملية بين البشر تتطلب تنوع ملكاتهم في العلوم والمعارف فكل ميسّر لما خُلق له .

ويمكن أن نجمل أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات ، ونأمل من أهل الاختصاص أن يستفيدوا من مثل هذه الدراسات التي تنطلق من مصدر القرآن الكريم ، ونعني بهم الذين يتصدون لرسم المناهج التربوية ، والمخططين التربويين عموما ، وعلى وجه الخصوص وزارات التربية ، **وهذه أهم النتائج :**

١. القرآن الكريم خير من يوجه البشرية إلى السبل القويمة ؛ لأنه صادر عن موجدها والعالم بما يصلحها .
٢. القصة القرآنية من وسائل القرآن الكريم ، وقد حوت الكثير من الوسائل التربوية التعليمية .
٣. ينبغي على الراسمين للمناهج التربوية الاستفادة من الرصيد التربوي القرآني .

المراجع العربية:

ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس، ١٩٩٧ م

ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٢، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

إسماعيل، محمد بكر، **قصص القرآن**، دار المنار، ط ٢، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

البدري، طارق عبدالحميد، **أساسيات الإدارة التعليمية ومناهجها**، دار الفكر. عمان، ط ٢، ٢٠٠٥م

البطاشي، سيف بن حمود، **إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان**، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية. مسقط، ط ٢، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

الحمصي، أحمد فائز، **قصص الرحمن في ظلال القرآن**، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

الخالدي، صلاح، **مع قصص السابقين**، دار القلم دمشق، ط ٢، ١٩٩٦ م.

زيتون، كمال عبدالحميد، **التدريس نماذجه ومهاراته**، عالم الكتب القاهرة، ط ١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.

السالمي، محمد بن عبدالله، **نهضة الأعيان بحرية عمان**، مطابع دار الكتاب العربي بمصر. القاهرة.

الشعراوي، محمد متولي، **قصص الأنبياء**، مكتبة التراث القاهرة.

الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، دار الحديث القاهرة، ط ٣، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

الشيباني، عمر محمد التومي، **الفكر التربوي بين النظرية والتطبيق**، المنشأة العامة للنشر. طرابلس، ط ١، ١٩٨٥ م، ص ٩٦.

الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٢، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الفكر. بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م

قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن**، دار المعارف القاهرة، ط ٩

قطب، محمد، **نظرات في القصص القرآني**، ١٩٨٦ م.

مسلم، **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث بيروت.

موسى، مصطفي إسماعيل، **الاتجاهات الحديثة في طرائق تدريس التربية الإسلامية**، دار الكتاب الجامعي العين، ط ١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

نمر:محمود وآخرون، **دراسات في أصول التربية**، دار الثقافة. الدوحة، ط ٤، ١٩٩٥ م.

النووي، محي الدين، **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار المعرفة. بيروت، ط ٥، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.